اتلاف القوى بالافراط

ما كاد دولاب الزمان يدور بالشرق فتدول منهُ دولة العلم وتبزغ شمسها في افق الغرب، حتى حيتها الاذهان من كافة الارجاء تحيَّة الولهان بطيب اللقاء ففتحت لها المدارس اوسع الابواب واخذت للتحصيل باقوى الاسباب . ولكن الغربيين لاول نهضتهم العلمية هاموا بثورة الحماس وحميَّة الاندفاع فتهافتوا على تناول العلم نهماً وقرماً تهافت الجياع على القصاع لا يميزون في الطلب بين الجوهر والعرض ولا يفرقون بين الغثّ والسمين الى ان قام من توابغهم من فرَّقوا بين انواع العلم من وجوه النفع فوضعوا الحدود وقرَّروا الاصول والفروع وقسَّموا المطالب الى اقسامها الطبيعية واقاموا لكلّ منها اوضاعها واحكامها وخصُّوا كل طائفة من العلوم والفنون بمدارسها ودوائرها وهكذا جعلوا بناموس التدرُّج والارتقاء يدأبون في ذلك التقسيم والتنويع امعاناً وتدقيقاً حتى انقسم كل فرع الى فروع شأن علماء الحيوان والنبات في تقسيم اجناسها وانواعها الى ما يأخذ بالالباب عجباً واعياء

غير انهُ بقيت بعد ذلك مسألتان في شأن التهذيب العقلي لا يُنال دونهما الغرض الاقصى من طلب العلم . الاولى قيادة العقل في السبيل القويم من صحَّة البحث والتحقيق الى الحدّ المطلوب. فكانت عندهم الطريقة المتَّبعة في التحصيل مجرَّد الجمع والنقل والاحاطة والحفظ على وجه التسليم والتقليد دون تمحيص ولا تدقيق . فقام باكون الفيلسوف الانكليزي في القرن السابع عشر للميلاد ووقف في وجه المقلّدين وقفة الجبّار الشديد واهوى على تلك الطريقة الموروثة بسيف الانتقاد المخلص في حبّ الحقيقة فأبان بعد طول الجهاد ما فيها من بقايا الظلمة وعناصر الفساد حتى مال بقيادة العقول الى النهج السويّ في قانون الدرس والبحث في كل مطلب من مطالب العلم . فاليهِ تُنسب طريقة التحقيق في نهضة الغرب العقلية ومن عصرهِ يؤرَّخ نتاج العلم الصحيح على ما سنبيّنهُ في بحثٍ منفردٍ ان شاء الله

والمسألة الثانية هي ان الدارس لم يكن غالباً يُراعي في تثقيف عقلهِ المبدأ العلميّ الفيسيولوجي والعقليّ والاقتصاديّ من اختيار المطالب بما يلائم احوال قواهُ الصحية والعقلية واغراض حياتهِ العملية . وقد ظلّ المربُّون والمهذّبون على هذا الخلل الى عهد غير بعيد . فانبرى علماء الطب المتقطعون لهذا البحث الجليل وكشفوا عن وجه الحقيقة لثام الاوهام باتوار الادلَّة العلمية ولا يزالون الى اليوم في ميدان الجهاد يُثارعون . وقد وقفنا

اليوم على كلام جامع جلي البرهان لبعض اولئك الاعلام في هذا البحث الجليل الشأن فتوفَّرنا على استيعابه وتلخيص معانيه الكلية بما وسعهُ الامكان وهو موضوع هذه المقالة . وقد اخترنا لها هذا العنوان تنبيهاً على خطارة شأنها واستلفاتاً لانظار المصلحين من قادة تهذيبنا الشرقي وعلمائنا الافاضل وكتابنا المفكرين فنقول

من الحقائق البيولوجية ان كل عضوٍ في الجسم الحي يبقى بلا عمل فمصيرهُ بحكم الطبيعة الى الضعف فالزوال بعد الضمور والهزال . ولكنهُ قبل ان يتمَّ فيهِ ناموس التلف على التدريج يكون عبئاً ثقيلاً على سائر الاعضاء لانهُ يقاسمها الغذاء دون ان يعوّض عنهُ شيئاً من عملهِ على سبيل الجزاء شأن الكسالى واهل البطالة في الأُسر والجماعات . والعضو البطال لا يقتصر شرُّهُ على استلاب غذائهِ من شركاء وجودهِ العاملة في الجسم الحيّ بل تدبُّ فيهِ سموم الامراض والوهن على قعودهِ وجمودهِ الى ان يتصل ضررُهُ بسائر الاعضاء فيقرّب على مجموع الجسم اجل الفناء . ومن امثلة هذه الاعضاء المؤذية التي لا يعرف لها عمل في الجسم الانساني عضلاتٌ معلومة عند المشرحين على اختلاف في درجة اذاها واشهرها الزائدة الدودية في منتهى المعي الغليظ . فهي عدا انها عادمة الوظيفة تنال غذاءها غصباً حراماً عرضةٌ للداء و يبل قلَّ ان يسلم منهُ العليل

وان ما اثبتتهُ فروع العلم الحديث كالتشريح والفسيولوجيا وعلم الاجنَّة من امر هذه الاعضاء السلاَّبة التي لا عمل لها قد تنبهت لهُ الانظار في كل ما يتعلَّق بشؤون الانسان الاجتماعية والفردية الداخلة تحت انواع الحيويات الخاضعة لنواميسها في حالَي الارتقاء والانحطاط وفي طليعة هؤلاء المتنبهين القائمون على تهذيب العقول من اهل العلم الصحيح

فقد اوضحت هذه الفرقة ان القوى العقلية والجسدية في ناموس الحياة تحت حكم واحد بلا تفريق اي ان كل ما يتبل الارتقاء من ذوات النوتشيَّ المؤثرات الخارجية في اعضائهِ بعض التغيير حتى تعدها للمحيط المتقدم المرتقي و بذلك تشتد هذه الاعضاء العاملة قوةً في معترك الحياة و تزيح الواقفة منها عن العمل تخلصاً من اذاها بحيث تنصرف المؤونة الحيوية ونشاطها الى كل ما هو نافع في ميدان الارتقاء وعلى ذلك قالوا ان الطبيعة خلقت بحكمة باريها حريصةً على الانتفاع من طريق العمل كارهة للبطالة والبطالين تطلب الاغراض العليا من التكامل الحيوي وتسعى اليها بقوى ما لديها من عدة الجهاد حتى يزول من طريق الارتقاء كل عائق و يبقى كل نشيط فائق

هذا الناموس العام اصبح اليوم عمدة منشئي العقول في هذا العهد واضحى قبلة مساعيهم

في اصلاح التعليم المدرسي سواء كان في انتقاد مواد الدرس او في اساليب التدريس اعتماداً للاصلح من اغراض الحياة وملاءمة لترقية القوى العقلية بمجموعها . فاخذت طائفة من اولئك الاعلام المحققين لاعوام قليلة تبحث في الشائع العام من موضوعات التعليم لطبقات الطلاب على اختلاف الجنس والعمر وتعرضهُ على محك النظر العلمي فوجدوا ان كثيراً مما كان يحسب قروناً عديدة حتى الى هذا العصر اصلاً ضرورياً في تمرين كل القوى العقلية وعنصراً جوهرياً في ترقية العقل على الاجمال لم يكن لدى التحقيق القاطع الاَّ وهماً ارثتهُ عصور الظلام فجرى عليهِ الناس بغلبة التقليد وانساقوا اليهِ بقوة الاستمرار فلن يوقف هذا التيار الاَّ صدمة شديدة من نور العلم الساطع ولن يحوّل مجراهُ الى نهجهِ الطبيعي سوى قوة سديدة من سيفهِ القاطع

ومن ذلك ان المدارس العليا كانت تحمّل اذهان الطلبة اجمعين — بلا تفريق في الاستعداد ولا نظر في القابليات — من دروس الرياضيات السامية واللغات الميتة اعباء باهظة تنوءُ بها حتى نورثها الاعياء والكلال وتفرض على ما دونها من المدارس الثانوية ان تجري على خطتها فرضاً الزامياً فتتحكم بذلك تحكُّم المستبد القاهر باخاضع الذليل فكانت النكبات ترغم المتحتها برنامج الدروس وتوجب عليها اتباعهُ ولا تقبل متخرجاً منها الاَّ كل من مرَّ على ذلك المرسوم مهما كان غرضهُ المستقبل من التحصيل ومهما كانت حالة قواهُ من الميل الفطري والاستعداد الطبيعي . وما كانت حجتهم في ذلك كلهِ الاَّ الزعم الموروث بان تلك الدروس الخصوصية مقوّيات عامةٌ للقوى العقلية باسرها

اما التحقيق العلميّ الذي اخذ يحمل على تلك الاوهام فكان مبناهُ من الاستدلال الطبيعي قياساً على نتائج التمرين البدني وهاك البيان

كان الشائع عند عامة اهل المدارس ان مجموع القوى البدنية لا يتقوى الاَّ بطرق مخصوصة من انواع الرياضات وان الصحة على الاجمال لا يضمن بقاؤها في حياة الاستقبال دون ان يكلف طلبة المدارس تمرين تلك الاعضاء المعينة على اساليب الاجهاد الشاقة . وقد كان من غلبة هذا الاعتقاد ان لم تعُدْ مدرسةٌ تنتظم في سلك المدارس العصرية الاَّ اذا أفسحت مجالاً لهاتيك المجهدات البدنية حتى اصبح الناس يعدُّون افضلها ما زادت في تلك الالعاب عنفاً وشدة وحتى غدا كلُّ ما يقع فيها من ضروب الاذى والتشويه يتلقاهُ سواد الناس من باب فداء الخاص من اجل العام

غير ان العلم تناول هذا البحث فاثبت بالادلة المتكاثرة ان هذه المروضات الخارجة عن

دائرة الاعتدال لم تقارن الشرائع الطبيعية بحال — وانما هي وسائل قسرية تغتصب زخر القوة اغتصاباً ولا تعدُّ الأ تكليفاً لما لا يطاق · وكل نفع أتى بطريق الكلفة الصناعية لا بنوب عما أتى عن الطبع بل هو رهن انزوال على كل حال بل قد ينقلب فيه غرض النفع الى ضده من نهاية الضر

فقد ظهر لارباب النظر من الاطباء ان الجمّ الغفير من اشداء الرجال الذين قوّوا بعض اعضائهم العضلية بذرائع ذلك التمرين الصناعي العنيف اصبحوا من ضعفاء القلوب والرئات وانحطّت قواهم الحيوية على الاجمال عن المتوسط العامّ حتى خانتهم في معترك الجهاد اليوميّ واخترمت حياتهم في مستقبل ايامهم اختراماً فجاوزتهم الطبيعة لمجاوزتهم حدودها ولم تجدهم تلك الصناعة · والطبيعة لا تساهل فيها ولا تقبل في احكامها شفاعة

ولما بلغت هذه التحقيقات الطبية مبلغها من الوضوح اخذ رجال الطب واساتذة التمرين البدنيّ يتنبهون الى ما يحيق بهذه الالعاب الآخذة باطراف الافراط من الاخطار على صحة التلامذة العمومية واتضح لهم ان اجهاد القوة العضلية فوق الاحتمال يُفضي الى انهاك القوة البدنية بجملتها وان كلّ عضو يقوّى صناعياً إبّان نشأته ثم لا يتهيأ لهُ ما يكفل دوام استعداده من الوظائف والاعمال يمسي عبئاً ثقيلاً على سائر الاعضاء وعرضةً لانتياب الامراض الخطيرة · وقد قرّر احد مهرة الاطباء لعهد قريب ان ضابطاً بحريًّا ممّن كانوا قد احرزوا قصب السبق في ميدان الصراع فُحص طبيًّا قبل تقليده وظيفةً معيّنةً من الوظائف الحربية فوجدت قوّتهُ الحيوية قاصرةً عن الحد المطلوب · وقد قال طبيبهُ ان هذا العجز لم يأتهِ الأ من افراطهِ في اجهاد قواهُ العضلية ايام صبوتهِ فوق الحدّ الذي احتاج اليهِ في مستقبل سنيهِ

فاتضح من كل ذلك فساد الوهم القديم من حصول القوّة العامّة بتقوية عضوٍ مخصوص وتبيّن بالبرهان الدامغ ان النفع الحاصل من تمرين عضلات معيّنة يحصر فيها لاول امره وان القوة المذخرة بذلك التمرين قد تؤول الى الخسران العامّ اذا كان من نصيبها البطالة والاهمال في الاستقبال · وهذه الحقيقة البيولوجية هي الركن الاوطد الذي بنى عليهِ ارباب هذا المبحث حجتهم حتى لا يجسر مُرَبٍّ او مهذّب او مروّض على اكراه فتى او فتاة في ريعان الصبا اجهاد قوّة بدنية او عقلية دون ان يثبت لهُ القصد المعيّن من إعمالها في ما تمرّن لاجلهِ من الوظائف المخصوصة · وابلغ ما يحسن نقلهُ من كلام ائمّة هذا البيان قول الدكتور (بيوت) الانكليزي في كتابهِ (تهذيب الارادة) وهو على وفق اصلهِ : ان قوّة المقاومة

الحيوية ليست بموقوفة على القوة العضلية فرب بطل مصارع في ميدان الكفاح او حمال يحمل اثقال تراه على الحقيقة ضعيف الصحة او طيف الادواء . وقد ترى رجلاً اليف الخابر والدفاتر معتدل القوة العضلية وهو صحيح شديد وذو بنية كالحديد . ولذا فلا يكفي ان نزهد الاجهاد في الصراع والجلاد بل يجب ان نحاماه لان القوة الحاصلة منهُ انما تتأتى بطريق مجاهدة التمرين وهذه من معارضات التنفس وسبب لاحتقان مخصوص في اوعية العنق والجبهة الدموية وما هي على التحقيق الا موهنة مضنية . قال معتمدنا في اساس هذه المقالة « لقد ادت بنا التجارب ودلنا الاختبار الى اننا نحن الاميركيين لا يجوز لنا متابعة الانكليز في طرق رياضتهم البدنية العنيفة بل اهل اسوج الذين اقلعوا عن سابق عادتهم من اجهاد قوى احداث المدارس والافضاء بها الى دركات الضعف والانحطاط . فان هؤلاء الاسوجيين قد اصبح من همهم ادراك احداثهم الصحة والقوة الطبيعيتين بعد ان ايقنوا ان الرياضة البدنية المجهدة اشد اذىً من فرط الدرس »

فاذا تبين لنا حكم الناموس الطبيعي في الاجهاد البدني يحسن بنا ان نلتفت الى نفوذه في الاجهاد العقلي على ما اشرنا في مقدمة المقالة وهاك البيان :—

للجهاز العصبي فروع مخصوصة منتشرة في الدماغ ولكلٍّ منها مراكز معينة تختص بكل من القوى العقلية المختلفة نوعاً وشدةً او كيفاً وكماً . واعمال كلٍّ من هذه المراكز العصبية بالدرس المختص بهِ يزيدهُ بناء وقوةً . فدرس الرياضيات مثلاً يعمل بمركزها المخصوص فيزيدها نموًّا في بنائها المعروف بالعصب القشري ويقوي خيوطهُ الالتلافية . وقس عليهِ درس اللغات وغيرها من الابحاث الاولية المستقلة . فكل تغيير يحدث في كيفية ذلك الدرس المخصوص من زيادة او نقص يوصل اثرهُ الى مركزهِ العصبي المختص بهِ . وعليهِ فقد بيَّن الامتحان من بالولوجيا الاعصاب انهُ اذا إبف او اختل المركز المختص بالرياضيات مثلاً فقدَ صاحبهُ قوة الادراك الرياضي وحدها دون سواها . وكذا يجري الحكم في اعتلال غيره من المراكز العصبية كما اشتهر امر كثيرين ممن اعتلت مراكز الذكر في اعصابهم فخانتهم الذاكرة حتى في تذكر ابسط الامور واعم الالفاظ واقرب المحسوسات . وعلى ذلك قال احد اساتذة العلوم العصبية في جامعة كلومبيا « اذا وقع تغيير في وظيفة عصبر ما لا يتصل اثرهُ بوظيفة آخر الا اذا اشتركا بعناصر واحدة اشتراكاً متصلاً لزوميًّا وان التغيير في الثاني هو على قدر التغيير الحاصل في هذه العناصر التي يشترك فيها الاثنان . . .

فاذا ارتقت وظيفة عقلية بعينها فليس من الضرورة ان ترتقي معها وظيفةٌ اخرى لاتشاركها في ما سبق ذكرهُ حقيقةً وان اصطلح الناس على مشاركتها بالاسم بل قد توصل اليها الاذى . ومن النادر الذي لا يُبنى عليهِ حكم ان تتساوى وظيفتان عقليتان بنفع يتأتى من اعمال احداهما معها اشتدَّ التشابه بينهما لما في عمل كل قوةٍ بمفردها من الاحوال المخصوصة[1] »

فمن ذلك ثبت ان الاشتغال بدرس او فن مخصوص من طريق الاخصاء والانقطاع لا يتعدى أثرهُ الى غيرهِ من قوى العقل خلافاً لما كان من الوهم الراسخ الشائع الى عهدٍ قريب بل الباقي الى الساعة في غالب المدارس . وهذه الحقيقة جليلة الشأن في امور التدريس والتدريب وتطبيق توائم المدارس على مبادئها الراسخة الاركان فليوجه اليها اولياء التعليم والتهذيب اقصى الالتفات رحمةً باغصان الاذهان الناضرة من البنين والبنات وشفقاً بها ان يوردوها موارد الذبول بل الهلاك . والاَّ فما تجنيهم باضناء ذهن ابن السادسة من عمرهِ بما يفوق طورهُ من المسائل الرياضية وارهاقهِ باستظهار جداول تصريفية وهم يجهلون حالهُ من غضارة الذهن ونشأة القوَّة ؟ وبعد هذا البيان العلمي كيف يثبتون مزاعمهم بان اجهاد بعض القوى العقلية يؤول الى تقوية مجموعها ؟

وحاصل ما ذكر من الحكم العلمي اليقيني في امر التهذيب العقلي هو :

ان ما تنالهُ قوة مخصوصة من قوى العقل بدرس موضوع عويص او عمل مضنٍ مما لا يؤمل استعمالهُ في اعمال الحياة اليومية لا من قبيل المشاركة ولا من طريق الاخصاء انما هو سلبٌ لنصيب سائر القوى العقلية من موادّ البقاء ولا بدَّ ان ينزل بسقمهِ القضاء او يقصر على العقل كلهِ اجل النشاط والمضاء فضلاً عن اضاعة الوقت ومكابدة الآلام وتجرُّع كؤوس الخذلان والحرمان في ميدان الجهاد

ثم زاد هؤلاء المحققون انهُ لو حصر امر هذه الاضرار العقلية الناجمة عن مخالفة سنة الطبيعة في وجهيها الاقتصادي والادبي لما قاموا لها وقعدوا . اذ الناس قلما يحفلون بغير المحسوس المادي من الضرر . ولكنهُ اجتمع لكلٍّ منهم اي المحققين من نتائج الفحص الطبي في العدد العديد من الجنسين ما يروع اذاهُ فثبت لديهم بالاحصاء ان كثيراً من حوادث الخلل العقلي على الواعهِ ما تأتى عن خرق ذلك الناموس . ولعلَّ غيرهم من سائر الملاحظين

(١) فيسيولوجيا التهذيب والتعليم فصل ٨

يؤيدون هذه الادلة الطبية مما عرفوهُ بانفسهم وكان ماثلاً للابصار

يذكر كاتب هذه السطور ان وقع له منذ اعوام مولفٌ انكليزيٌّ لطبيب مفكر شهير اميركي وضعهُ في اضرار تعليم البنات المشترك مع الصبيان مما لا تحتملهُ فواعز الجنسية على تفصيل عملي واضح البيان عدَّد فيهِ ما شاهد في اعمالهِ الطبية من الحوادث الفاجعة في النتيجات المفرطات في الدرس المجهد مسابقة للصبيان مما انتهى بهنَّ الى خسارة الصحة وزهوق الارواح . وقد بقي في المحفوظ من اقوالهِ الخالدة في عرض هذا البيان قولهُ «انهُ شاهد اثناء سياحتهِ في بعض انحاء سوريا امرأة مكدودة الى جانب بقرة تفلحان معاً . ولكنهُ على استهجانهِ هذا المشهد المؤسف يؤثرهُ على فتاة في طور البلوغ مكدودة الى كتابها بتعب الهيام العقلي مما يعجز عنهُ ارتباط القلوب بعهود الغرام»

اما حال الشرق بالنظر الى هذا الضرر فليست نتائجهُ في عهديهِ القديم والحديث بعيدة الشبه عنها في الغرب اما في العهد السالف فالامر معلوم من حال طلبتنا الناشئين على النهج القديم من الاعتلاق بالدروس اللسانية الالية والطائفية المخصوصة . فانهم لانحصار اذهانهم في مآزقها الحرجة ولتقيُّدها باغلال حديدية من الخنوع والتقليد وتغلغلها في مجاهل ذلك التيه السحيق اصبحوا وهم على جمود لا يفقهون معهُ معنى الجمود كأنهم من بها ليل اهل الجذب والذهول مما تضحك بهِ الصبيان فضلاً عن اهل العقول

حكى لي بعضهم عن فقيد الفضل العلاَّمة الفيلسوف الدكتور فانديك الكبير انهُ قال لحلقةٍ من امثال هؤلاء الطلبة الاغرار «اتحكم يا اولادي ألاَّ تلزموا جانباً واحداً من المعارف على طريق الجهل التامّ في المشاركات بل فيما انتم آخذون بهِ من المطلب الخاصّ لا تميلوا بكليتكم كل الميل عن سواهُ والاَّ كنتم نظير شجرات معروفة في ضواحي صيداء تهبُّ عليها الرياح من جهةٍ واحدة حتى اصبحت كلها على خطٍّ مائل الى تلك الجهة مما تستهجنهُ الانظار» . كأنهُ يقول لا يغني فنٌّ عن فنٍّ ولن تنوب قوَّةٌ عن قوَّةٍ كما تنوب بعض علامات الاعراب عن بعض

واما نتائج تهذيبنا الفارَّة في العهد الحديث فهي ان اكثر مدارسنا الشرقية بتقليدها مدارس الغرب في مواد التدريس لا تراعي حال البلاد الاجتماعية والاقتصادية فاذا لم تستقلّ بخططها على ما يوافق شؤونها الخاصة الطبيعية فلا بدَّ ان تصير يوماً الى ذلك المصير والذي شهدهُ العقلاء المفكرون الى اليوم من حال بعض طلبتنا وانباههم في تيَّار ذلك

التقليد مقرّب للمآل الذي نخشاهُ . فان غالب تلك المدارس مرتكبة متن الشطط باكراه عقول الاحداث على المجاهدة في درس بعض المواد العقيمة على حين انها لا تجدي العقل في الحال سوى لذة وقتية من مسابقة او مباهاة وان أجدت في ثقوبة ملكة او توسعة نظر فقد لا يرجى منها اشتغال في الاستقبال

وليس المقام الآن موضع هذا التفصيل فنكتفي منهُ بالاشارة ونكل البسط الى فرصة اخرى ان شاء الله . ولا يظنّ هنا اننا نستثني من هذا الحكم حال كلياتنا على العموم . فانها على وفرة بركاتها ونعمها من توسيع مدارك الطلاب وتنوير اذهانهم بالمعارف العصرية على اختلاف الاجناس والانواع بما يُعدُّ اساس نهضة الشرق الحديثة فقد لا تخلو من شائبة ذلك الخلل الافراطي في التهذيب العقلي ضاربة اكشف حجاب على سنّة الكون التدريجية فخرجت عن مراعاة حال البلاد في المكان والزمان . فانك تشاهد من صحبك وذويك شبانًا هم غاية في النجابة والذكاء وقد نالوا اسمى درجات الفوز والسبق في ميدان الطلب وكثيرٌ من تلك المطالب التي انفقوا في تحصيلها زهرة العمر و بدرةً من المال لم تعد عليهم بنفع في جهاد الحياة الحقيقي بل ان تلك القوى التي انموها كدحًا وكفاحًا رُدّت الى حال الخمول والوهن وكان من آثار غلبتها على غيرها من القوى التي حقت الحاجة اليها يوم العمل ان خذل صاحبها الخريج الحاذق والمتفنن السابق والرياضي المبرّز والتاجر الوهمي النابغ وراح ذلك الكاتب الثائر والشاعر الباهر يندب ايام صباهُ وحظهُ من دنياهُ وما كانت علة شقائهِ الاّ انهُ لم يُشغّل في ما ينفع ولم تذخر قواهُ لحياة بقائهِ

اتفق لنا اننا يوم كنا نفكّر في شأن هذه المقالة ضمّنا واحد منشئي المقتطف العلامتين المفكرين مجلس انساق فيهِ الحديث الى ما سبق فصدّق عليهِ رعاهُ الله وزاد ما سناهُ « وليس هذا البحث قاصراً على شأن الطالب الفرد بل يطلق ايضاً على الشرق كلهِ مع مجموع طلابهِ بمعنى انهُ ينبغي ان تراعى في عدد المتعلمين العلم العالي عموماً حاجة البلاد فاذا ازداد عليها وضاقت الحالة الاقتصادية عن استخدام قواهم كلهم لحق بهم و بالبلاد جميعاً ذاك الضرر الطبيعي جرياً على حكم هذه القاعدة البيولوجية . فنحن بمنادانا بوجوب تعميم التهذيب والتعليم انما نريد تنوير طبقات الامة باجمعها حتى يعمّ الفلاّح والصانع والتاجر لا تبوغ افراد طلابها كلهم او اكثرهم في الفنون العليا و بناءهم عالة على البلاد »

نقول هذا ونحن غير ذاهلين عمّا في الالمام العامّ باركان العلوم النافعة من تثقيف القوى العقلية كلها وفائدة المشاركة بها حتى لاهل الاختصاص المتفرّدين على ما يؤخذ من بعض

كلامنا السابق . غير ان ذلك يجب ان يكون من معيار الحكمة والتعديل على اقوم مقدار . وان واجب الامانة هنا ليقضي على رؤساء المدارس ونظار لوائحها المخلصين ان يعتمدوا في شؤون وضعها الثقاة من كبار الاساتذة الذين نضج اختبارهم وصحت انظارهم في تطبيق الدروس على مفاصل الاحكام الطبيعية والمبادىء العلمية . فان ما جرت عليه غالب مدارسنا الى هذا العهد في تقرير لوائحها اما ان يكون بطريق التقليد الموروث او حرصاً على غرض قومي مذموم او ضرباً من الاستبداد الرئاسي او الجهل الرئاسي حتى ولو كان فيه ما فيه من حسن القصد فلن يشفع في النتائج ولا يدفع المحظورات

هذا ولعلّ تهذيب فتاتنا الشرقية على التخصيص لا يقلّ خطورة شأن عن تهذيب اخيها وربما خفي فيه وجه الصواب على بعض المصلحين وقد لا يخلو امر الباحثين فيه من اختلاف النظر وتضارب الآراء . ولكن الحلّ الاقرب لهذا الاشكال عند شيوخ المحققين هو ان يقتصر في تعليم الفتاة على ما هو انفع لمقامها الخاصّ في حياتها الشرقية على وفق حال البلاد من الارتقاء العام . وقد أيّد الاختبار ان الدروس الاخلاقية والادبية والصحية والمعاش التاريخية والرياضية والطبيعية واقية بحاجاتها العقلية وقد تزيد عن حاجتها في بعض الطبقات . واجمعت ارباب العقول ان تدر بها على فنون تدبير المنزل والاقتصاد واصول التربية والحياة البيتية اكفل بوفاء واجباتها الجنسية الشريفة من التبحّر في العلوم العقلية والنقلية مجاراةً او مباراةً مما يفضي كدّ ذهنها فيه الى الاضرار الصحية على ما سبق نقلهُ عن علماء الصحة

ولما كانت رعاية مقتضيات الزمان والمكان في شؤون التهذيب كلها ركناً لا محيد عنهُ لحياة الامة ولاسيما في حال نهضتها المدنية لم تكن مجاراة الفتاة الشرقية في آونتها الحاضرة لاختها الغربية قرينة الحكمة والصواب ، وكلّ ما تنقلهُ عملاً تنا وجرائدنا من تراجم شهيرات الغرب ونابغاتهِ في مزاحمتهنّ لافراد رجال الفلسفة والعلوم العويصة ان قصد به مع التمثيل والتاريخ اغراء المرأة الشرقية على السعي اليه اليوم فهو في حكم المتبصرين خروج عن الطور الطبيعي من صنة الارتقاء

دمشق مثري قندلفت